التّحوّل الرّقميّ واللّغة العربيّة: من التّلقّي الورقيّ إلى التّفاعل الإلكترونيّ

Digital Transformation and the Arabic Language: From Paper-Based Reception to Electronic Interaction

لقدرفتيحة
جامعة محمد خيضر، بسكرة، (لجزائر)، fatiha.lagder@univ-biskra.dz
سبقاق صليحة
جامعة محمد خيضر، بسكرة، (لجزائر)، saliha.sebgag@univ-biskra.dz

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2026 /02 /26	2026 / 06 / 01	2026 / 11 / 10

مُلخّص البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل أثر التحوّل الرقمي على اللغة العربية في مستويي التلقي والتعبير، عبر رصد انتقال المتلقي من القراءة الورقية التقليدية إلى القراءة التفاعلية عبر الشاشات، وما يصاحب ذلك من تغيّر في بنية النصّ وسرعة الاستهلاك وانتشار الاختصارات والتشويش البصري واللغوي داخل الفضاءات الرقمية. وقد توصلت الدراسة إلى أنّ التحوّل الرقمي لا يشكّل تهديدًا مباشرًا للغة العربية بقدر ما يكشف عن تحدّيات جديدة تفرض إعادة تطوير آليات التعليم والتعبير والمعالجة التقنية، بما يحفظ الفصاحة والدقّة ويعزّز قابلية العربية للاستخدام في التطبيقات والمنصّات الحديثة.

الكلمات المفاتيح: التحوّل الرقمي، اللغة العربية، التلقي الرقمي، النص التفاعلي، المعالجة التقنية.

Abstract

This study aims to analyze the impact of digital transformation on the Arabic language at the levels of reception and expression by tracking the shift from traditional print reading to interactive screen-based reading, and the accompanying changes in text structure, speed of consumption, and the spread of abbreviations and visual and linguistic noise in digital spaces. The study concludes that digital transformation does not constitute a direct threat to Arabic; rather, it reveals new challenges that require redeveloping mechanisms of education, expression, and technological processing in ways that preserve eloquence and accuracy and enhance Arabic's usability in modern applications and platforms.

Keywords: digital transformation, Arabic language, digital reception, interactive text, technological processing.

1. مقدمة:

تُعدّ التكنولوجيا الرقمية اليوم إحدى القوى المحورية في تشكيل بنية التواصل البشري، إذ أعادت صياغة أنماط التفاعل والمعرفة في مختلف مناحي الحياة، وفي مقدّمتها المجال اللغوي والثقافي، الذي يشهد تحوّلًا نوعيًا غير مسبوق. ومع تسارع هذا التحول، برزت الحاجة إلى فهم موقع اللغة العربية في العصر الرقمي، وما يفرضه الانتقال من التلقي الورقي التقليدي إلى التفاعل الإلكتروني من تحديات وفرص تعيد النظر في طبيعة النص العربي، وطريقة تلقيه، وسياقات إنتاجه وفهمه.

فلم يعد النص العربي حبيس الصفحات المطبوعة أو القوالب المدرسية الجامدة، إنما أصبح جزءًا من بيئة تفاعلية مفتوحة، تتعدد فيها الوسائط، وتتشابك فيها الأشكال التعبيرية، ويتحوّل فيها القارئ إلى مستخدم يشارك في بناء المعنى. غير أنّ هذا التحوّل لا يخلو من إشكالات عميقة، وأبرزها تهديد بعض الخصائص الأصيلة للغة العربية، وانجراف المستخدم العربي نحو أنماط تعبيرية سريعة تختزل اللغة في رموز واختصارات، ما يثير تساؤلات حول مستقبل الفصاحة، والدقة، والهوية اللغوية في فضاء يعجّ بالتشويش البصري والتعبيري.

وانطلاقًا من هذه الإشكالية، تسعى هذه الورقة البحثية إلى دراسة أثر التحوّل الرقمي على اللغة العربية، من خلال تحليل العلاقة بين النص التقليدي الورقي والنص الرقمي التفاعلي، وتفكيك التغيرات التي طرأت على أنماط التلقي والإنتاج اللغوي العربي في الفضاءات الرقمية. كما تسعى إلى إبراز الأدوار المنتظرة من المؤسسات اللغوية والتعليمية في تأطير هذا التحوّل، وضمان انخراط اللغة العربية في البيئة الرقمية دون أن تفقد أصالتها. وتعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، بهدف تقديم قراءة نقدية متوازنة للتحديات والفرص، واقتراح آليات تضمن للغة العربية حضورًا فاعلًا ومستدامًا في المشهد الرقمي المتغيّر.

2. مصطلحات ومفاهيم:

تعريف اللغة:

اللّغة (**language**) عند أرسطو: نظام لفظيّ محدّد؛ نشأ نتيجة اتّفاق بين أفراد المجموعة البشريّة في مكان ما، وغاية (اللّغة) عنده هي تحقيق الصّلات بين الإنسان والإنسان أو معرفة الإنسان للأشياء، وقد تستخدم كذلك أداة للتربية والمتعة، أمّا ابن جنّي فيرى بأنّ اللّغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وقد رأى باحثون مجدّدون من أمثال (مالينوفسكي): أن اللّغة جزء من السّلوك الإنسانيّ، ونوع من العمل وليست مجرّد أداة تعكس الفكر[1]، واللّغة هي الرّكن الأوّل وأساس الحياة في المجتمع، فهي وسيلة التّفاهم والتخاطب، وتبادل الأفكار والآراء والمشاعر، لها أهميّة كبيرة في تقدّم الفكر، والارتقاء بحضارة ما.[2]

وما التّقدم الحضاريّ الذي حقّقه الإنسان في تاريخه إلّا نتيجة لوجود هذه اللّغة: المستعملة في التّفاهم والتّواصل، وتفاعل الإنسان مع البيئة المحيطة الطّبيعية والاجتماعيّة يحصل عن طريق اللّغة، [3]واللّغة بشكلها الظّاهر منظومة من الرّموز الصّوتيّة أو المكتوبة التي ترمز بها إلى المعاني والأفكار التي يتفاعل بواسطتها أفراد المجتمع الإنسانيّ، ويستخدمونها في أمور حياتهم، وبها يتمّ التّواصل والاتّصال والتّفاهم بين النّاس، وما من أمّة درجت في مضمار التّقدم والحضارة إلا اعتنت بلغتها،[4]ويرى (فندريس): أن اللّغة فعل اجتماعيّ من حيث أنّها استجابة لحاجة الاتّصال بين بني الإنسان، و يبدو أن تعريف الاجتماعيين للغة تعريف يتناسب مع ما يريده

الإعلاميون من اللّغة الإعلاميّة أو الاتّصال بالجماهير بوجه خاص،[5] ومن خلال هذا التعريف وممّا سبق ذكره حول الإعلام واللّغة نستنتج وجود علاقة وثيقة بين الإعلام واللّغة.

مفهوم اللّغة العربيّة وأهميّتها:

تعتبر اللغة العربية إحدى اللّغات السّامية، وهي لغة حيّة، عبّرت منذ عصورها الأولى عن حاجات المجتمع، وتطوّرت معهم، وقد اهتمّ العرب بلغتهم منذ العصر الجاهليّ، وقد ازداد هذا الاهتمام بشكل واضح مع ظهور الإسلام، وقيام الفتوحات الإسلاميّة، لأنّ اللّغة العربيّة أصبحت لغة القرآن الكريم والحديث النبويّ الشّريف، لذلك بدأ اهتمام العلماء العرب المسلمين يتّجه نحو حفظ التّراث اللّغويّ العربيّ، والدّفاع عنه،[6]فباعتبار اللّغة العربية لغة القرآن الكريم، الذي هو رسالة سماويّة للبشريّة جمعاء، فإن الاهتمام بترقية هذه اللّغة والحفاظ عليها من أولويات الباحثين والعلماء.

واللّغة العربيّة الفصحى مكوّنة من أنظمة لغويّة هي: النّظام الصوّتي والنّظام الصّرفيّ والنّظام النّحويّ،[7]و هي الرّكن الأساسيّ في بناء الأمة العربية، وقد تميّزت عن باقي لغات العالم بتأريخها الطّويل المتّصل، وثروتها الفكريّة والأدبيّة وحضارتها التي أوصلت قديم الإنسانيّة بحديثها، ولقد تأثّرت اللّغة العربيّة بلغة القرآن الكريم على المستويات اللّغوية كافة، وأساليبها التي عبّرت عن المضامين التّشريعية للدين الحنيف، فكانت أفصح كلاماً وأبلغه لفظاً، وأسلوباً، وأكثر تأثيراً في النفوس، وتنبع أهميّة اللّغة العربيّة من كونها ذات قدرة كبيرة على تذليل الصعاب وقوة واضحة في مجابهة الحياة، وأنها تتمتّع بقدرة فائقة على استيعاب كلّ جديد من العلم والحكمة والفلسفة وأنواع المعرفة الأخرى،[8] فالقول بعجز اللّغة العربيّة عن احتواء الانفجار المعرفيّ والإعلاميّ في الألفيّة الثّالثة باطل.

واللّغة العربيّة غنية بأصواتها وتراثها اللّفظيّ، فقد اشتملت على الأصوات جميعها وزادت عليها أصواتاً كثيرة لا وجود لها في اللّغات الأخرى، وهي لغة واسعة دقيقة وغنيّة بمفرداتها وحيّة ونامية ومتطوّرة تواكب التّغيرات الحضاريّة ومطالب العصر، ويمكن الاستدلال على أهميّة اللّغة العربية ومكانتها بين علمائها؛ بما وصفها به القدامي والمحدثون، وقد وصفها (القلقشندي، ت 82هـ) بأنّها لأمتن اللّغات وأوضحها وأمرها رواقاً، وأعذبها مذاقاً، ويصفها الجندي: اللّغة العربيّة أسمى اللّغات، وأنها مفتاح اللّغات جميعها،[9]وخصائصها التي انطوت عليها تجعلها وفية لمتطلبات العمل الإعلاميّ في عملية الاتّصال الذي يستهدف: إحداث تجاوب الشخص المتصل به، أو محاولة إشراكه في استيعاب المعلومات، أو في نقل فكرة ما.[10]

وعليه فاللّغة العربيّة أولى من غيرها بموفور الرّعاية وبالغ العناية، لأنّها حاملة كلام الله، وحاضنة تراثنا الغنيّ، وناقلة تاريخنا المجيد إلى الأبناء والأحفاد، فهي الجسر الذي يصل بين الأجيال والحضارات المتعاقبة، وبالنّظر لهذا الدّور الذي تضطلع به اللّغة العربية، لابدّ من تطويرها وتحديثها حتّى تكون دائما في مستوى التّحدّيات التي يحفل بها العالم المعاصر، ومن ثمّة فحياة اللّغة العربية وحيويتها رهن استعمالنا لها وقدرتنا على توسيع مجالها، وحملها على الاستجابة لحاجاتنا، وهذا لا يتوفّر إلّا بقدر ممارستنا لها وتحميلها لتجارب بشرية جديدة...،[11]وهذا ما جعل أحد المفكرين يسأل: هل تصلح اللّغة العربيّة التي كانت وعاء لحضارة زاهية خلال قرون عدّة في الماضي، أن تكون وعاء لحضارة أخرى كالحضارة المعاصرة؟ ؛ والواقع أن السّؤال يحمل في طيّاته الجواب

أو بتعبير أدقّ جوهر الجواب هو أنّ اللّغة التي كانت وعاء لحضارة زاهية في الماضي لن يعجزها أن تستجيب لمتطلبّات الحضارة المعاصرة، لما في هذه اللّغة من مرونة واتّساع.[12]

واستعمال اللّغة العربيّة الفصحى لغة للإعلام ليس مطلبا عسير المنال، فلغة الإعلام هي الفصحى السّهلة المبسّطة في مستواها العمليّ، وعلى الرّغم من غنى اللّغة العربيّة وقدرتها الدّائمة على استيعاب مختلف التّطورات، وقابليتها المستمرة للتّجديد والتكيّف مع التّطورات، فإن دعاة العولمة ما فتئوا يروجون القضاء على اللّغات القوميّة، مشكّكين في جدوى قدرتها على مواكبة تطوّرات العصر، ولاشكّ أنّ هذه النّظرة على ما يطبعها من تحيّز تقوم على عنصريّة واضحة؛ تتّهم اللّغات العريقة كاللّغة العربيّة بالمحدوديّة والفقر والثّبات..، لكنّ اللّغة العربيّة والتي هي لغة الوحي والتّقليد الثّقافي العربيّ برمّته، ورغم عناصر الثّبات التي فيها إلّا أنّها ليست عقبة أمام عناصر التّغير الطّارئة أو الوافدة، وبالقدر الذي نخدم فيه لغتنا، فإنها قابلة لخدمة تطور المعرفة.[13]

فاللّغة العربيّة مرنة، كيف لا وهي لغة القرآن الكريم الذي هو دين صالح لكلّ وزمان ومكان، للبشريّة جمعاء، فكلّ دعوة مشكّكة في صلاحية اللّغة العربيّة في عصر الرّقمنة لا أساس لها، وإنّما تكشف عن حقد دفين للإسلام والعروبة، وكلّما كان الاهتمام بلغتنا العربيّة، تطوّر المجتمع العربيّ، فاللّغة تعكس هذا التّطوّر وتخدمه.

واللّغة العربيّة تتمتّع بخصائص تجعلها تتّفق مع الغاية الإعلاميّة، فهي تمتلك خصائص وظيفيّة فضلاً عن الخصائص الفنيّة الجماليّة، وهذا يخالف ما يدّعيه بعض الباحثين من دعوى قصور اللّغة العربيّة، بأنّها لا تتناسب مع لغة الإعلام، والذين يدعون إلى استعمال العاميّة؛ بدعوى أنّها أسهل للتّداول والتّفاهم والانتشار، وهذا كلام مردود على أصحابه؛ فاللّغة العربيّة لغة تمتاز بالوضوح والاتّساع والمرونة، والقدرة على استيعاب جميع الأفكار وإيصالها بسهولة دون أيّ تعقيد،[14] وهذا ما يظهر في قول المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه** التي تقرّ بأهميّة اللّغة العربيّة وفضلها الكبير حتّى على الحضارات الأخرى: "إنّ في لغتنا كلمات عربيّة عديدة، وإنّنا لندين - والتّاريخ شاهد على ذلك - في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زيّنت حياتنا بزخرفة محبّبة إلى النّفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا"[15]، وتعدّ اللّغة العربية إحدى أهمّ فروع العلوم الإنسانية، لما لها من أهميّة كبيرة في معرفة الحياة الإنسانيّة بشكل عام، والإحاطة بالرقيّ البشريّ والتّطور الثقافيّ والحضاري للمجتمعات البشريّة، فلا ينكر ما للغة من فضل في تزاوج الحضارات وتبادل الثقافات.[16]

التحول الرقمي واللغة العربية: من الأدوات إلى الرهانات الحضارية:

في ظل التحوّل الرقمي المتسارع، لم يعد ممكنًا الحديث عن مستقبل اللغة العربية دون إدراك عميق لطبيعة التحول ذاته. فالتحول الرقمي هو عملية شاملة تُعنى باستخدام التقنيات الرقمية لتحسين العمليات، وتطوير الخدمات، وإحداث تغيير جذري في طريقة عمل المؤسسات والأفراد داخل المجتمع. ولا يقتصر هذا التحول على رقمنة الوثائق أو تحويل البيانات الورقية إلى إلكترونية، إنما يتعدى ذلك ليشمل تغييرًا في الثقافة المؤسسية، وأساليب التفكير، ونماذج الإنتاج والتواصل. ويُعدّ هذا التحول ضرورة استراتيجية في عصر المعلومات، حيث تُستخدم أدوات مثل الذكاء الاصطناعي، والبيانات الضخمة، والحوسبة السحابية، والاتصال الذكي لإعادة صياغة الأنشطة التعليمية، والاقتصادية، والاجتماعية، ويُشكّل ركيزة أساسية لبناء اقتصاد المعرفة وتحقيق الكفاءة والشفافية في مختلف القطاعات. وهذا ما أكّده بشير إبرير حين أشار إلى أن الرقمنة لم تعد مجرد تقنية

حديثة، بل أصبحت: "مشروعًا علميًا إستراتيجيًا له وظائفه العلمية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... وإن نجاح هذا المشروع رهين بحسن التخطيط والتدبير، وتوافر البنية التحتية، والعنصر البشري المدرب، والمقتدر على التفاعل مع هذا التحول المعرفي الجديد"[17]. وهذا التصور الاستراتيجي يعزز ضرورة انخراط اللغة العربية في مشروع التحول الرقمي لا بوصفها لغة تراثية تُحافظ على شكلها فقط، بل كعنصر حي قادر على أداء أدواره في بيئة رقمية متغيرة. فالرقمنة بهذا المعنى ليست تقنية مضافة إلى اللغة، بل شرط من شروط وجودها المعرفي في العصر الحديث.

ويُعمّق عاشور توامة هذا المنظور من خلال ربط الرقمنة بتمكين اللغة في سياق الاقتصاد المعرفي، مؤكدًا أن: "لن يكون ذلك إلا بتهيئة بيئة اقتصادية مبنية على رقمنة عربية تؤسس الاقتصاد المعرفي بكل معالمه المعلوماتية والمعرفية، من خلال الاهتمام بتكنولوجيا المعلومات وتطويعها لإدراج اللغة العربية والحوسبة في مختلف القطاعات، لأنها الحجر الأساس في تعزيز الرقمنة وتطور الاقتصاد المعرفي"[18].

إن هذا الفهم المتقدم يضع اللغة العربية في صلب الرهانات الاقتصادية والثقافية والتقنية للعصر، ويحوّلها من موضوع للقلق إلى موضوع للاستثمار. ومن هنا تبرز الحاجة إلى استراتيجية شاملة، تشارك فيها مؤسسات التعليم، وصنّاع القرار، والمجتمع العلمي، لإعادة صياغة علاقة اللغة العربية بالرقمنة، بعيدًا عن ثنائية المحافظة أو التفريط، نحو تفاعل دينامي وفاعل مع التحول الحضاري الذي نعيشه.

3. من التلقي الورقي إلى التفاعل الرقمي: تحولات في أنماط التواصل باللغة العربية:

يشــكّل التلقي الورقي لعقود طويلة، منظومة ثقافية متكاملة حافظت على إيقاع معرفي ثابت، وعلى علاقة شــبه مقدســة بين القارئ والنص. ففي ظل الوســيط الورقي، كان النص يُقرأ في هدوء، بتأنٍ، بعيدًا عن الإلهاءات، وهو ما سـمح بتراكم دلالي عميق وتكوين علاقة عضـوية بين القارئ والمحتوى. وهذا النمط من التلقي سـاعد على اسـتقرار البنية اللغوية، إذ أن محدودية الوسـيط الورقي وتأنّي القراءة فرضـت على الكاتب الالتزام بقواعد اللغة، والدقة الأسـلوبية، والتركيب المنطقي للجمل. كما أنّ وجود "الحبر والورق" كحاملين للنص جعل الخطأ مكلفًا، ما شجّع على مزيد من العناية اللغوية. وفي هذا السـياق، كانت اللغة العربية تُدرَك في النص الورقي ككيان متماسـك، له بناؤه، وله جديته، وله سـياقه، وهي خصـائص بدأت تتعرض للاهتزاز مع دخول وسـائط رقمية تختلف في جوهرها عن الوسـيط الورقي، من ناحية آلية التلقي وسـرعته. وقد عبّر بشـير إبرير عن هذا التحول قائلاً: "إن الرقمنة متغير تواصلي بالغ الأهمية يخص اللغات جميعاً ومنها اللغة العربية، صار التواصل مع الآلة وبواسطتها، ولم يعد يقتصر على اللغة وحدها، بل صار يتم بعلامات وتوسيمات لغوية أخرى تمس اللغة في عناصرها الصوتية والصرفية والمعجمية، وفي نحوها وتراكيبها ونصوصها،[19]ويتقاطع هذا التغير البنيوي في اللغة وطريقة تلقيها مع ما يشهده التعليم من تحوّلات عميقة فرضتها التكنولوجيا الرقمية، حيث لم تعد المناهج قادرة على مواكبة الكمّ المعرفي المتزايد بالأساليب التقليدية. وفي هذا السياق يؤكد مسعود خليل: "فقد نتج عن تزايد المعلومات والاكتشافات أن تضخمت المناهج الدراسية وتضاعف حجم الكتب الدراسية، وهذا أدى إلى زيادة العبء الملقى على عاتق المعلم باعتباره المصدر الأساسي للمعلومات في ظل التعليم التقليدي، وهذا أدى بالمعلم إلى أن أصبح غير قادر على أداء عمله بصورة مرضية، وما سبق يؤكد أن استخدام وسائط الاتصال

التعليمية أصبح ضرورة لا غنى عنها في تدريس كثير من المعلومات والمهارات التي تتضمنها المناهج الدراسية، فمستحدثات العصر أفرزت بيئة تعليمية جديدة تتطلب معلماً عصرياً وبنية تحتية حاضنة[20]."ويُظهر هذا كيف أن التحوّل الرقمي هو انتقال في جوهر العملية المعرفية واللغوية على حدّ سواء، ما يتطلب وعياً جديداً وإعادة تشكيل للعلاقة بين الإنسان واللغة والمعرفة.

ومع التحول الرقمي، أصبحت القراءة جزءًا من ممارسة يومية سريعة، ومجزأة، ومشوشة أحيانًا. والقارئ أصبح مستخدمًا يتنقّل بين نوافذ رقمية متعددة، يقرأ قليلاً، ويشاهد كثيرًا، ويتفاعل أكثر مما يُحلّل أو يستبطن. والنص العربي بدوره تغيّر، من حيث وظيفته الاتصالية؛ إذ بات يُكتب على مقاس الشاشة لا الصفحة، وعلى إيقاع اللحظة لا الذاكرة، وعلى منطق الجاذبية البصرية لا العمق المعرفي. ونتيجة لذلك، تغيرت علاقة القارئ بالنص: لم يعد النص يُقرأ لذاته، إنما يُستهلك كجزء من سيل من المحتوى، ما جعل اللغة تتأثر بمتطلبات الوسيط لا بمنطقها الداخلي. ويتأكد هذا التحدي حين نعلم أن اللغة العربية، رغم انتشارها الواسع وعدد مستخدميها الكبير، تعاني ضعفًا ملحوظًا في الحضور الرقمي. وقد أشار عاشور توامة إلى هذه الإشكالية بوضوح، قائلاً: "يتبين مما سبق أن المحتوى العربي منذ بداية النت يعاني مشكلات تكاد تكون هي ذاتها حتى اليوم، فهذا المحتوى لا يعاني الشح فحسب وإنما أيضًا الضعف وعشوائيته وعدم استعمال اللغة العربية السليمة الخالية من الأخطاء، كما أنه لا يتوافر على التصميمات الذكية وسهولة النفاذ إليها، وغياب تحديث المحتوى وبرامجه وخدماته، بالإضافة إلى ظاهرتي التكرار والانتحال.[21]

وهذا الواقع الرقمي الضعيف يعكس أزمة مزدوجة: أزمة في إنتاج محتوى عربي رقمي جاد، وأزمة في تلقي هذا المحتوى ضمن بيئة تفضل التصفح السريع على الاستيعاب العميق. ومن هنا، يبرز التحدي الأكبر: كيف نعيد تأسيس علاقة متوازنة بين اللغة العربية والمحتوى الرقمي، بحيث نحافظ على هوية لغوية قادرة على التعبير والتأثير في سياق رقمي سريع، استهلاكي، ومتقلب؟

يعد انقلاب موقع القارئ من متلقٍّ سلبي إلى مستخدم تفاعلي واحدا من أبرز التحولات التي حملها الفضاء الرقمي؛ ففي حين كانت العلاقة مع النص الورقي علاقة رأسية -الكاتب في الأعلى، والقارئ في الأسفل- أصبح الفضاء الرقمي مجالًا أفقيًا، يُمكّن القارئ من التعليق، والتعديل، والمشاركة، بل وأحيانًا إعادة إنتاج النص ذاته. وهذا التفاعل، رغم إيجابيته الظاهرية، أعاد تشكيل أُطر التلقي اللغوي: فالقارئ يندفع للتعليق اللحظي، ما يُحدث قطيعة مع تقليد التأمل والفهم المتدرّج للنص. كما أن الثقافة الرقمية تُشجّع على ردود الأفعال السريعة والانطباعية، وهو ما انعكس على أنماط اللغة نفسها، فحلّت السرعة محل الإتقان، والاختزال محل الشرح، والانفعال محل التحليل.

ولا شك أن هذا التحوّل يطرح سؤالًا نقديًا محوريًا: هل ما نعيشه هو ديمقراطية لغوية حقيقية، أم فوضى تعبيرية تُهدد المعايير اللغوية بالاضمحلال؟، ويكتسب هذا السؤال مشروعيته من واقع التحوّل في طبيعة العملية التعليمية ذاتها، لا سيما مع شيوع البيئة الرقمية، حيث أصبح الطالب أكثر فاعلية وتفاعلًا، وانقلب دوره من متلقٍ سلبي إلى مساهم في صياغة المعرفة. وفي هذا السياق، تشير جيهان شاويش إلى أن: "الرقمنة تُعد وسيلة للتجديد في البنية التعليمية، لذا يجب التغير الجذري في البنية التحتية والفضاء التربوي للمؤسسات التربوية، ولحدوث ذلك

يلزم خطوات واضحة للتغير... كما أن الكفاية التواصلية من أهم الكفايات التي يتأسس عليها تدريس اللغة العربية، لذا يجب الاستفادة من دروس اللغة العربية المجددة والمرقمنة مع التركيز على قيمة الثقة بالنفس التي تجعل المتعلم يستثمر ما يتعلمه في بناء الشخصية[22]." ويتقاطع هذا القول مع طبيعة التحول الذي نرصده، إذ لم تعد الرقمنة تقتصر على إيصال المعلومة، إذ باتت تعيد تشكيل شخصية المتعلم ذاته، وتُغيّر نمط تفاعله مع اللغة. غير أن هذا التفاعل الجديد، رغم تمكينه، يحمل في طياته مخاطر على العمق اللغوي والتحليل المعرفي، إذا لم يُضبط بمعايير تربوية ولغوية واضحة. وهنا تبرز الحاجة إلى تجديد أُطر التلقي والتعلم بما يوازن بين حرية التعبير ومتانة اللغة، وبين التفاعلية والعمق، دون الوقوع في فخ التسطيح والتفكيك اللغوي العشوائي.

ومن جهة أخرى، أفرز الانتقال من الورق إلى الشاشة تغيرًا جوهريًا في بنية النص العربي ذاته. في الماضي، كان النص يُكتب ليُقرأ من البداية إلى النهاية، في تسلسل منطقي، وفقرات متراصة، وجمل طويلة نسبياً تستوفي شروط البيان. أما النص الرقمي، فقد صار يُنتج على نحو مجزأ، متقطّع، يُقصد به الجذب السريع لا البناء المفهومي العميق. تقنيات مثل الHyperlinks، والInfographics، والوسائط المتعددة، خلقت نمطًا جديدًا من "النصوص المركّبة" التي تنتمي إلى منطق الإعلام الجديد: السرعة، التنقل، والتعدد. وهذا لا يعني بالضرورة تراجعًا في القيمة المعرفية للنص الرقمي، ولكنه يتطلب مهارات مختلفة في التلقي، وقدرة أعلى على إدارة الانتباه، والربط بين العناصر المتفرقة. والمشكلة تكمن في غياب الاستعداد الثقافي واللغوي لاستيعابه دون أن يفقد القارئ العربي مرجعيته التقليدية في التلقي.

وتظهر هذه الإشكالية بوضوح في البيئة التعليمية الحديثة التي باتت تعتمد بشكل متزايد على وسائل التواصل الاجتماعي كمنصات تعليمية. وقد أشار محمد حطاب إلى هذا التحول قائلاً: "لقد أصبح عالم التعليم مفتوحًا مع وجود الرقمنة من حيث جو التعلم ومكان التنفيذ وعملية التعلم وخفة الحركة لدى الطلاب الذين تضافر الأبعاد العلمية للتربية والمهارات الحياتية والتعاون وأنماط التفكير النقدي التركيز الرئيسي في المنهج المقدم[23]."ويكشف هذا القول عن أن النص التعليمي نفسه لم يعد حبيس البنية الخطية، بل صار يتطلب من المتعلم أن يتفاعل معه باعتباره وحدة دينامية، تتغير حسب السياق، وتُقدَّم عبر وسائط متعددة. وهذا التغير في البنية النصية انعكس بدوره على مهارات التلقي، التي أصبحت تشمل التفاعل، والاختيار، والتنقل بين أنماط مختلفة من العرض والمعالجة. وفي ضوء ذلك، لا يمكن الحديث عن الرقمنة بوصفها مجرد وسيلة جديدة، إنما بوصفها بنية ثقافية ومعرفية تعيد صياغة العلاقة بين النص، والقارئ، والسياق. والتحدي الحقيقي يتمثل في مدى جاهزية المؤسسات الثقافية والتعليمية، والمجتمعات اللغوية، لاستيعاب هذا التحول دون أن تقع في التفريط أو الجمود.

تحوّلت الطريقة التي يُقدَّم بها المحتوى اللغوي في العصر الرقمي من شكلها الورقي المستقر إلى بنية مرنة وسريعة التغيّر، تخضع لذائقة بصرية متقلبة تتحكم فيها تصميمات المنصات، وأنواع الأجهزة، وخوارزميات الذكاء الاصطناعي. فالنص الورقي بطباعته التقليدية وخطه المعروف كان يسمح للمتلقي بهامش واسع من التحكم في تجربته القرائية، أما النص الرقمي، فقد أصبح أسيرًا لتقنيات تصميمية ومحتوى مُوجّه تُقترح فيه المواد، ويُقاس التفاعل، وتُبنى المسارات القرائية وفق خوارزميات لا يُدرك المتلقي عملها بالكامل. هذه "القراءة المُعدّلة" تطرح سؤالًا أخلاقيًا وتربويًا: هل ما توفره البيئة الرقمية هو حقًا فضاء حرًا للتلقي، أم أنه يعيد إنتاج نمط جديد من

الهيمنة التقنية على الذوق اللغوي والمعرفي؟ وفي هذا السياق، تؤكد جيهان السيد علي إبراهيم شاويش أهمية تمكين المعلمين من المهارات الرقمية لمواكبة هذه البيئة الجديدة، فتقول: "بيئة التدريس المستخدمة لتقنيات الرقمنة يتطلب من معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أُخرى أن تتوافر لديهم المقدرة على استعمال التقانات الحديثة من الإلكترونيات والبرمجيات، والمعرفة باستعمال الحاسب الآلي وبرامج الإنترنت والبريد الإلكتروني والآيباد والهاتف النقال وغيرها من الأجهزة التي تُستعمل في التعليم[24]."ويكمل هذا الطرح ما سبق أن أشار إليه عمار زيدان حول ضرورة تكييف البيئة التعليمية مع المعطيات الرقمية، حيث قال: "تُعتبر تكنولوجيا المعلومات اليوم ضرورة ملحة خصوصاً في القطاعات الحيوية وفي مقدمتها قطاع التعليم العالي... وتسعى هذه الدراسة إلى تكييف البيئة الرقمية مع الإستراتيجية المتبناة... وتعزيزها من خلال الاستغلال الأمثل لتقنيات الاتصال الحديثة واستثمارها في تطوير التعليم العالي وتفعيل المنظومة المعلوماتية[25]." وهكذا يتضح أن التحدي في الرقمنة يكمن في البنية الكاملة التي تحكم إنتاجه، وتمريره، وتلقّيه، وفي مدى جاهزية المؤسسات والمعلمين والمتلقين لمواجهة هذا الواقع الجديد بثقافة رقمية نقدية، تعيد للمتلقي وعيه وسيادته على تجربته القرائية.

من الملاحظ أن الهوة بين الشكل الورقي والشكل الرقمي للنص قد أثرت بشكل واضح على نوعية اللغة المستخدمة. فبينما كان النص الورقي يتطلب عناية بالبنية النحوية والأسلوبية، أصبح النص الرقمي أكثر تساهلًا مع الأخطاء، وأقل التزامًا بالفصحى المعيارية. تتكاثر اليوم مظاهر العامية، واللغة المهجنة، والاختصارات، والرموز التعبيرية، في النصوص العربية الرقمية، ما أدى إلى تآكل تدريجي في الوعي اللغوي لدى جيل من المستخدمين الذين نشؤوا في بيئة لا تُميز بين "قال" و"قالوا"، ولا ترى في الخطأ النحوي مأزقًا بل مجرد فارق في الأسلوب. والمفارقة أن هذه الظواهر صارت تيارًا عامًا، تروّج له حتى مؤسسات إعلامية وتعليمية تسعى لـ"تيسير الفهم"، لكنها بذلك تُساهم دون قصد في تفريغ اللغة من دقّتها التاريخية.

وتتأكد خطورة هذا التحول في ظل الرقمنة التعليمية، التي وإن كانت قد سهلت الوصول إلى المحتوى، إلا أنها حملت معها تحديات لغوية عميقة. وقد عبّر محمد حطاب عن هذا الواقع بقوله: "في هذا الصدد، يجب أن يعتاد تعلم اللغة العربية في العصر الحالي على تقديم التعلم الرقمي الذي يقدمه المعلمون في شكل عمليات تسليم تتضمن تقنيات مختلفة أو وسائل التواصل الاجتماعي... مما يجعل وسائل التواصل الاجتماعي إحدى الوسائط التي يمكن أن تساعد في عملية التعلم في الوقت الحاضر والتي تعد مرادفة للتعلم في أي مكان وزمان[26]."إن هذا التوسع في الاعتماد على المنصات الرقمية، وخاصة تلك القائمة على الوسائط السريعة والتفاعلية مثل "تيك توك" و"إنستغرام"، قد أفرز نماذج لغوية جديدة، لا تتقيد كثيرًا بالقواعد المعيارية. وهكذا، تتشابك الإشكالية التقنية مع التربوية: فالمتعلم اليوم ليس فقط أمام محتوى جديد، بل أمام لغة جديدة أيضًا، تتطلب مهارات مختلفة في التلقي، وفهمًا نقديًا يعيد التوازن بين التيسير والعمق، وبين الانتشار والدقة.

ورغم أن هذا التحول الرقمي قد منح النص العربي فرصًا غير مسبوقة في الانتشار، إلا أنه أضعف -في كثير من الأحيان- سلطة النص. فالكم الهائل من المحتوى الرقمي جعل من النص يُستبدل بسرعة بمحتوى أحدث، وأقصر، وأكثر إثارة. وهذه السيولة الثقافية تتعارض جوهريًا مع طبيعة اللغة العربية ككيان له عمق زمني، وتراكم دلالي، وتقاليد نصية. وهكذا، يجد النص العربي نفسه في معادلة صعبة: إما أن يُواكب المتغيرات ويُختصر

ويتكيّف، أو أن يحتفظ بأصالته ويُقصى تدريجيًا من المشهد الرقمي سريع الإيقاع. والسؤال التربوي هنا هو: هل نُدرّب الطالب العربي على استهلاك النص السريع، أم على مقاومته؟ على التفاعل اللحظي، أم على الفهم الممتد؟ ولعل هذا التحدي يعيدنا إلى ما نبه إليه تمام حسان منذ عقود، حين أكد أن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل هي تجسيد حي لثقافة الجماعة وتقاليدها وأعرافها. يقول: "ليست اللغة إذا عنصرا من عناصر الثقافة؛ بل إنها أساس كل أنواع النشاط الثقافي. ومن ثم فهى أقرب الأدلة وأقواها عند استقصاء الملامح الخاصة لأى مجتمع معاصر[27]." ويتأكد هذا الإشكال اللغوي والتربوي من خلال الواقع الميداني لتعليم العربية في ظل الرقمنة، إذ يشير سعود خليل إلى مفارقة لافتة تتعلق باستخدام التكنولوجيا الرقمية في التعليم، حين يلاحظ: "انغماس المتعلمين في عالم التكنولوجيا الرقمية، وانجذابهم إلى توظيف التقانة في العملية التعليمية، غير أننا لم نلمس استغلال الرقمنة في تعلم اللغة العربية على المستويين الفردي والرسمي[28]."وهذا القول يُبرز مأزقًا آخر مكمّلًا للمشهد: فبينما تنتشر الأدوات الرقمية، وتُدمج تكنولوجيات المعلومات في الفصول الدراسية، يبقى المحتوى اللغوي العربي في الهامش، إما بسبب ضعف التأهيل، أو غياب استراتيجية واضحة لاستثمار هذه الوسائل في تعزيز الفصحى وتنمية الوعي اللغوي لدى المتعلم. إننا أمام مفارقة حادة: تكنولوجيات متقدمة؛ تُستخدم لتقديم محتوى لغوي غالبًا ما يُختصر أو يُبَسَّط أو يُستبدل، مما يزيد من تآكل العلاقة بين المتعلم واللغة، ويجعل السؤال حول سلطة النص العربي وفاعليته في البيئة الرقمية سؤالًا وجوديًا وتربويًا في آنٍ واحد.

في النهاية، لا يمكن اختزال العلاقة بين التحول الرقمي واللغة العربية في ثنائية الربح والخسارة، أو التطور والانحطاط. بل إنّ هذه العلاقة مركّبة، تتطلب إعادة تفكير في مفاهيمنا التقليدية حول القراءة، والفهم، والكتابة، والتواصل. والتحول الرقمي هو بنية ذهنية جديدة تُعيد تشكيل علاقتنا باللغة، وتُحرّك النظام اللغوي من داخله. والمطلوب اليوم ممارسة نقد مزدوج: نقد للتقليد الذي يرفض التجديد، ونقد للتقنية التي تُجرف المعنى في بحر من التفاعل الفارغ. وحده هذا الوعي النقدي قادر على صياغة علاقة جديدة بين اللغة العربية والفضاء الرقمي، علاقة لا تُفرّط في التاريخ، ولا تُضيّع المستقبل. وفي هذا الإطار، تبدو الحاجة ماسّة إلى استيعاب اللغة بوصفها كيانًا ثقافيًا متجددًا، لا مجرد أداة للتعبير، وهو ما عبّر عنه أحمد عبده عوض في رؤيته العميقة حول اللغة، حيث يقول: "اللغة ليست مجرد أداة أو وسيلة للتعبير أو للتواصل... إنها وعي الإنسان بكينونته الوجودية، وبصيرورته التاريخية، وبهويته الذاتية والاجتماعية والقومية وكليته الإنسانية، إنها السجل الناطق بهذه الأبعاد جميعها[29]." وبهذا الفهم، تغدو اللغة أوسع من كونها وسيلة تقنية، وتصبح شرطًا من شروط الوجود المعرفي والثقافي. ولذلك، فإن تجديد علاقتها بالرقمنة لا يعني فقط تحديث أدواتها، بل إعادة تأهيل الوعي بها كرافعة للذات والمجتمع في آن واحد.

4. الهوية اللغوية والسياسات اللغوية الرقمية: نحو تثبيت موقع العربية في العصر الرقمي:

لا يمكن الحديث عن اللغة العربية في العصر الرقمي من دون التطرّق إلى المسألة الجوهرية التي تشكّل خلفية كل نقاش لغوي معاصر: مسألة الهوية. فاللغة ليست وسيلة للتواصل فقط، بل حاملًا رمزيًا للوجود، مرآة للذات، وسجلًّا ثقافيًا يُعبّر عن انتماءات عميقة، تتجاوز الاستخدام الوظيفي إلى الأبعاد الرمزية والتاريخية. في الفضاء الرقمي، حيث تذوب الحدود المكانية، وتُعاد صياغة الأدوار الاجتماعية عبر الواجهة الافتراضية، تظهر اللغة

بوصفها العنصر الأكثر هشاشة، والأكثر عرضة لإعادة التشكيل. وفي هذا السياق، تبدو اللغة العربية معرضة أكثر من غيرها لهذا التفكك الرمزي، نظرًا لحجم التحديات التي تواجهها، وهو ما يفسره عبد المجيد الطيب عمر عند حديثه عن أصالة اللغة العربية ومقاومتها للاندثار. إذ يشير إلى أنها: "ظلت ناطقة على ألسنة المعاصرين كما كانت تنطق على ألسنة السابقين، دون أن تستغرب أو تستعجم، بل ودون أن تتبدل أو تتغير أو تموت. وهذا أمر نادر الحدوث ولم يسجله التاريخ إلا للغة العربية، التي يقرأ القارئ نصوصها القديمة دون الإحساس بقدمها[30]." وهذا الاستمرار المدهش في الحياة اللغوية يضع على عاتق مستخدم اللغة في العصر الرقمي مسؤولية مزدوجة: الحفاظ على أصالة اللغة في مواجهة ذوبانها داخل أنماط رقمية هجينة، والانفتاح على المعاصرة دون فقدان المرجعية. فالهوية اللغوية، كما تتجلى في العربية، ليست مجرد إرث محفوظ، بل مشروع مستمر من الحماية والتجديد، يتطلب وعيًا نقديًا بكيفية الاستخدام، خاصة في فضاء رقمي عابر، يهدد بطمس الفوارق، لا سيما الفوارق الرمزية والثقافية التي لطالما شكّلت جوهر الوجود العربي.

في هذا السياق، تبرز أزمة المعايير، حيث أصبحت الحدود بين الفصحى والعامية، بين اللغة المكتوبة والمنطوقة، بين اللغة الجادة واللغة الترفيهية، حدودًا ضبابية وغير مستقرة. فالفضاء الرقمي يفرض نوعًا من "التسوية اللغوية" التي تميل إلى البساطة، والاختصار، والسهولة، مما يجعل اللغة العربية تتخلى تدريجيًا عن كثير من خصائصها التركيبية والنحوية. وإذا كان هذا التبسيط يخدم الانتشار أحيانًا، إلا أنه يُعرّض اللغة لخطر التفكك الداخلي، وفقدان العمق التاريخي. وهنا، تؤكد ميادة في دراستها أن الرقمنة، رغم ما تحققه من انفتاح وتيسير في الوصول إلى المحتوى، قد تكون سيفًا ذا حدّين، إذ تقول: "هناك أيضًا آثار سلبية، مثل عدم المساواة في الوصول إلى التكنولوجيا واحتمال فقدان المعلمين المهارات التدريسية التقليدية بسبب الاعتماد المفرط على التكنولوجيا... كما أن هناك تحديات في قياس المهارات اللغوية للطلاب في العصر الرقمي، وكذلك الحفاظ على تحفيز الطلاب في تعلم اللغة العربية[31]."

والخطير في الأمر أن هذا التفكك يُحتفى به أحيانًا باسم "التحديث"، دون وعي بأنه قد يُؤسس لقطيعة بين الأجيال، حيث يصبح الجيل الجديد غير قادر على فهم النصوص التراثية أو حتى المقالات الصحفية المكتوبة بلغة فصيحة متينة. وهذا ما يدفعنا إلى الحديث عن دور المؤسسات التربوية والثقافية في تأطير هذا التحول، ومرافقة اللغة ككائن حي يتطلب العناية، والتوجيه، وإعادة التأهيل.

تلعب المؤسسات التربوية، من مدارس وجامعات ومراكز تدريب، دورًا حاسمًا في تحديد موقع اللغة العربية في العصر الرقمي. غير أن هذا الدور لا يزال في مجمله متأخرًا عن مواكبة الواقع الرقمي الذي يتحرك بسرعة. فما تزال مناهج اللغة العربية تُدرَّس في كثير من الأحيان بروح ورقية، تقليدية، تتجاهل الوسيط الرقمي بوصفه مكوّنًا جديدًا في التجربة اللغوية. لا يُدرَّس النص الرقمي، ولا تُحلّل المنشورات الإلكترونية، ولا تُدرّب الأجيال الجديدة على التفاعل اللغوي عبر الإنترنت بشكل ناقد. في مقابل ذلك، تُترك الساحة مفتوحة أمام المحتوى الرقمي العشوائي، وغير المُراقب تربويًا، ليتكفّل وحده بإعادة تشكيل علاقة المتعلم العربي بلغته. وهذا التراجع المؤسسي في تأطير الرقمنة اللغوية يتضح بجلاء في ما أشار إليه حمد مهدي من خلال رصده لتجربة تعليم العربية في إندونيسيا، حيث يبرز قصور واضح في مواكبة المؤسسات التعليمية للتحول الرقمي، إذ يقول: "في التعلم المستقل

القائم على التكنولوجيا، يجب أن يكون هناك إشراف حتى يظل الطلاب مركزين ويستخدمون الوقت بشكل منتج... لا ينبغي أن يحل التحول الرقمي محل أساليب التعلم التقليدية تمامًا... لا يزال التوازن بين التكنولوجيا والتفاعل البشري مهمًا[32]."وهنا تكمن المفارقة: في الوقت الذي تُطرح فيه الشعارات عن "التعليم الرقمي" و"المحتوى العربي"، يغيب النقاش الحقيقي عن كيف نُعيد تأطير اللغة العربية ضمن بيئة رقمية لا تُشبِه بيئتها التقليدية*، ولا تتبنّى معاييرها. فبدون تدخل تربوي فعّال، تتحوّل التكنولوجيا من فرصة لتعزيز التعلم إلى أداة تفكك وتشوّش لغوي، تؤثر سلبًا على جودة العلاقة بين الطالب واللغة، بين النص والهوية.

في موازاة ذلك، تلعب المؤسسات الثقافية والإعلامية دورًا مزدوجًا: فهي، من جهة، مطالبة بإنتاج محتوى عربي رقمي يُنافِس المحتوى العالمي من حيث الجودة والعمق، ومن جهة أخرى، مدعوة إلى ممارسة وظيفة نقدية تحمي اللغة من التردي ومن فقدان معناها التاريخي. ولكن، ما يحدث في الواقع هو العكس في كثير من الأحيان. فوسائل الإعلام العربية، لا سيما الإلكترونية منها، باتت تُمجّد السطحية اللغوية، وتُشجّع على اختزال المعنى، وتُسهم في شيوع أنماط تعبيرية تُقزّم اللغة، وتجعلها تابعة للصورة أو العنوان الجذّاب. ليس هذا فحسب، بل إن بعض المؤسسات الثقافية الرسمية تكرّس -دون أن تدري- فكرًا لغويًا متخشّبًا، يرفض كل تجديد، ويرى في الفضاء الرقمي تهديدًا لا فرصة، ما يُضعف قدرتها على التأثير في الجيل الرقمي الجديد. ويبدو هذا التردد المؤسسي في مواكبة التحول الرقمي واضحًا في العديد من السياقات العربية، كما يوضح عمار زيدان، الذي يربط نجاح التحول الرقمي في المؤسسات التعليمية والثقافية بوجود رؤية استراتيجية واضحة ودعم فعلي من القيادات العليا، حيث يؤكد: "يتوقف نجاح ونجاعة الإدارة الإلكترونية على مدى التزام القيادة العليا بالجهود المقدمة والمستمرة لتبني مشروع الإدارة الإلكترونية من خلال تقديم الدعم المادي والمعنوي المتواصل... وتحتاج أيضًا إلى القناعة التامة والرؤية الإستراتيجية الواضحة للقيادة العليا في المؤسسة أو الوزارة أو الدولة لتحويل جميع المعاملات الورقية إلى إلكترونية[33]."

المطلوب اليوم، إذن، هو إعادة إنتاج رؤية لغوية ثقافية تكون قادرة على مخاطبة العصر، دون التضحية بجوهر اللغة ومرجعيتها الحضارية. إن بناء هذه الرؤية لا يكون عبر التطوير التقني فقط، بل يستلزم أيضًا موقفًا مؤسسيًا حاسمًا في دعم اللغة، وتحريرها من ثنائية الجمود والانحلال، كي تواصل أداء أدوارها الرمزية والمعرفية في فضاء متغير.

هنا تظهر الحاجة الماسة إلى سياسات لغوية رقمية لا تتعامل مع العربية بوصفها لغة تقليدية يجب حمايتها من "الغزو"، بل باعتبارها لغة قادرة على النمو، والمواكبة، والتفاعل مع المستجدات التقنية والمعرفية. هذه السياسات يجب أن تُبنى على فهم دقيق لعناصر القوة والضعف في اللغة، وأن تكون شاملة: تبدأ من التخطيط اللغوي التعليمي، وتمر بإنتاج البرمجيات والتطبيقات، وتنتهي عند تشريعات تضمن حضور اللغة العربية في الواجهات الرقمية الرسمية، ومحركات البحث، وأنظمة التشغيل، ومنصات التواصل. فالعبرة ليست فقط بتشجيع الكتابة بالعربية، بل بخلق بيئة رقمية عربية متكاملة تُشجّع المستخدم على الانخراط الطبيعي بلغته، دون أن يشعر بأنه يقوم بفعل مقاومة أو أنه يسبح عكس التيار. ويؤكد بشير إبرير هذا التوجّه بقوة، حيث يرى أن اللغة العربية ليست عاجزة عن التفاعل مع الرقمنة، بل هي لغة "حاسوبية آلية قابلة للرقمنة"، وقادرة على أداء وظائفها في

المجتمع المعاصر، إذا ما وُجد التخطيط الجيد والدعم المؤسسي اللازم. يقول: "اللغة العربية... قادرة على استيعاب الرقمنة والنهوض بها نحو الأفضل والأحسن والأجود إذا وجدت من أهلها حسن التدبير والتخطيط، والإيمان بقدرتها على القيام بذلك[34]." إن التحدي الحقيقي يكمن في غياب رؤية لغوية رقمية واضحة تعترف بالرقمنة كمتغيّر تواصلي وثقافي يجب أن تتفاعل معه اللغة، لا أن تنكفئ أمامه. والمطلوب هنا، برمجة الوعي اللغوي ليصير أكثر انخراطًا في الحاضر، وأكثر قدرة على استثمار التقنيات في إنتاج معرفة عربية ذات سيادة ثقافية.

إن السياسة اللغوية الرقمية الناجحة هي التي تفهم أن المعادلة ليست بين الفصحى والعامية، بل بين الفصحى المتخشبة والفصحى المتجددة. المطلوب ليس فرض نماذج لغوية جامدة، بل تطوير صيغ لغوية حية، مرنة، قادرة على التكيف مع الخطاب الرقمي دون أن تفقد مرجعيتها. وهذا يتطلب تجاوز الثنائية الكاذبة بين "أصالة اللغة" و"حداثة الوسيط"، لأن ما يُهدّد اللغة العربية اليوم هو غياب تصوّر لغوي ثقافي قادر على استيعاب هذا الفضاء وتحويله إلى فرصة لإعادة تموقع العربية في المشهد المعرفي العالمي. فالمعركة الحقيقية ليست ضد التكنولوجيا، بل ضد الاستسلام الثقافي، وضد عقلية الانغلاق التي تُصوّر الفصحى ككائن من الماضي لا يصلح إلا للمناسبات الرسمية والخطب السياسية. وفي هذا الإطار، يمكن أن نرى كيف أن الاستخدام الفعّال للتقنيات الرقمية في تعليم اللغة العربية لا يتعارض مع الفصحى المتجددة، بل يدعمها، كما أشار محمد حطاب في دراسته، موضحًا: "تعد رقمنة تعلم اللغة العربية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي ابتكارا مفيدا جدا في تسهيل الوصول إلى تعلم اللغة العربية وتوسيع نطاقه في العصر الرقمي الحالي... مما يجعل وسائل التواصل الاجتماعي واحدة من أكثر المنصات فعالية لنقل المعلومات ومشاركة المعرفة مع الآخرين[35]."يتضح من ذلك أن الفرصة متاحة لإعادة تموضع اللغة العربية في الفضاء الرقمي، شرط أن يُعاد التفكير في العلاقة بين التقنية والسياسة اللغوية، لا من زاوية الدفاع السلبي، بل من زاوية البناء والتجديد والانخراط الذكي في العصر.

ومن هذا المنطلق، يمكن التفكير في ملامح استراتيجية لغوية رقمية شاملة تُراعي التعدد، والتوازن، والمشاركة المجتمعية. تبدأ هذه الاستراتيجية بإعادة النظر في مناهج تدريس اللغة العربية من أجل جعلها قادرة على إنتاج كفاءات لغوية رقمية، وتُرافقها خطط لتطوير محتوى عربي رقمي متخصص في مجالات متنوعة (العلوم، الصحة، القانون، الترفيه...). كما ينبغي أن تُنشئ هذه الاستراتيجية شبكات دعم لغوي رقمية، تتضمن معاجم إلكترونية تفاعلية، منصات للتحقق من اللغة، أدوات تصحيح ذكية، وتطبيقات تعليمية مدعومة بالذكاء الاصطناعي. ويجب أن تُسهم هذه الجهود في جعل اللغة العربية خيارًا افتراضيًا أساسيًا في أنظمة التشغيل، وفي توطين التطبيقات، وليس مجرد "إضافة" لغوية تأتي في آخر الترتيب.

ولا يمكن لهذه الاستراتيجية أن تنجح من دون إرادة سياسية حقيقية تُترجم إلى تشريعات واضحة تفرض على الشركات الرقمية الكبرى احترام اللغة العربية، وتُحفّز روّاد الأعمال على تطوير أدوات عربية عالية الجودة. فحضور العربية في الفضاء الرقمي لا يجب أن يُترك للصدفة أو للاجتهاد الفردي، بل يجب أن يُحوّل إلى قضية سيادية، ترتبط بالاستقلال المعرفي، والسيادة الثقافية، والعدالة اللغوية. وقد أثبتت تجارب دول صغيرة مثل فنلندا أو كوريا الجنوبية أن اللغة لا تحتاج إلى سوق ضخمة كي تزدهر رقميًا، بل إلى رؤية وطنية تؤمن بأن اللغة ليست أداة للتعبير فحسب، بل أداة لصياغة العالم وتمثّله.وفي هذا الإطار، يشدد عاشور توامة على أهمية وجود

دعم سياسي واستراتيجي واضح من أجل تمكين اللغة العربية في المجال الرقمي، مشيرًا إلى أن ذلك لا يكون إلا من خلال إرادة مؤسساتية قادرة على بناء اقتصاد معرفي حقيقي قوامه اللغة العربية، حيث يقول: "إن المعرفة تعتبر المسألة الحاسمة في تمكين المجتمع العربي... ولن يكون ذلك إلا بتهيئة بيئة اقتصادية مبنية على رقمنة عربية تؤسس الاقتصاد المعرفي بكل معالمه المعلوماتية والمعرفية، من خلال الاهتمام بتكنولوجيا المعلومات وتطويعها لإدراج اللغة العربية والحوسبة في مختلف القطاعات، لأنها الحجر الأساس في تعزيز الرقمنة وتطور الاقتصاد المعرفي[36]." يتضح من ذلك أن الرؤية اللغوية الرقمية الناجحة لا بد أن تنبع من مشروع وطني متكامل، ترى في اللغة العربية رافعة حضارية ومعرفية، وتوفر لها الأدوات والسياسات لتكون فاعلة في عصر البيانات والخوارزميات، لا هامشية ولا متأخرة عنه.

أخيرًا، يبقى التحدي الأكبر في تغيير الوعي العام تجاه اللغة العربية في العصر الرقمي. فلا فائدة من السياسات إذا لم تكن مدعومة بوعي جمعي يرى في اللغة جزءًا من الذات، لا مجرد عبء مدرسي أو إرث لغوي قديم. المطلوب أن يشعر الطفل، والمراهق، والبالغ، بأن العربية يمكن أن تكون لغة المستقبل كما كانت لغة الماضي، وأنها قادرة على أن تكون لغة علم، ولغة شاشة، ولغة لعبة، لا فقط لغة قصيدة أو خطاب رسمي. وعندها فقط يمكن أن تستعيد العربية موقعها الطبيعي في عالم رقمي لا يعترف إلا باللغات التي تعرف كيف تُعيد اختراع نفسها دون أن تفقد أصلها. وهذا ما أكدت عليه نور الهدى القروبي في تحليلها للتحديات التي تواجه اللغة العربية، بقولها: "تواجه اللغة العربية أزمة حادة... ويعود ذلك إلى عدم التفاعل المجتمعي الناطق بهذه اللغة مع متغيرات العصر الرقمي، وعدم العمل على التأهيل الذاتي للتلاقح مع عالم الاتصالات الحديثة، علماً أن لغة الضاد مهيأة وقادرة على مواكبة المعرفة العصرية والحداثية التي تجتاح العالم برمته[37]." إن تغيير هذا الوعي لا يتم بقرارات فوقية فقط، بل يحتاج إلى جهد ثقافي وتربوي وإعلامي طويل الأمد، يُعيد بناء علاقة العربي بلغته ضمن منطق العصر لا nostalgia الماضي، ويحوّل العربية من لغة تُدرَّس إلى لغة تُمارَس، ومن رمز ثقافي إلى أداة تكنولوجية فاعلة.

5. خاتمة:

تُظهر التحولات العميقة التي فرضها الفضاء الرقمي أننا أمام انقلاب جذري في بنية العلاقة بين اللغة والذات، بين النص والمستخدم، وبين الثقافة والوسيط. وإن اللغة العربية، وهي تدخل مضمار الرقمنة، تجد نفسها أمام مفارقة وجودية: فهي من جهة مدعوّة لمواكبة التطور التكنولوجي والانخراط في بيئات جديدة من الإنتاج والتلقي، ومن جهة أخرى مطالبة بالحفاظ على أصالتها البنيوية والرمزية، التي تُشكّل جوهر هويتها وامتدادها الحضاري. هذا التوازن الدقيق بين الحداثة اللغوية والانتماء الثقافي لا يمكن بلوغه إلا من خلال وعي نقدي جماعي يُدرك أن التحول الرقمي ليس تحديًا لغويًا فقط، بل هو تحدٍ وجودي يطال أنماط التفكير، ومفاهيم التعليم، وأسس الخطاب المجتمعي نفسه.

ومن خلال تحليل الانتقال من التلقي الورقي إلى التفاعل الإلكتروني، وتفكيك علاقة المستخدم العربي بلغته في بيئات رقمية متسارعة، وقراءة أثر التحول الرقمي في تشكيل النص العربي الحديث، تبيّن أن المشهد اللغوي العربي يعاني من هشاشة مزدوجة: هشاشة البنية المؤسساتية في تأطير التحول الرقمي لغويًا، وهشاشة

وعي المستخدم العربي بالوظيفة الحضارية للغته في هذا الفضاء الجديد. وقد كشفت الدراسة عن مجموعة من النتائج، أبرزها:

-أن التحول الرقمي غيّر بشكل جوهري أنماط التلقي، مما أدى إلى تراجع التفاعل العميق مع النصوص واستفحال ثقافة الاستهلاك اللغوي السريع.

-أن الفضاء الرقمي، على الرغم من إتاحته فرصًا واسعة لانتشار اللغة العربية، لا يزال بيئة محفوفة بمخاطر التبسيط والاختزال والانفلات من الضوابط اللغوية.

-أن الفصحى تواجه منافسة شرسة من العامية المهجنة واللغة الهجينة (العربيزية)، دون وجود خطاب مؤسساتي متماسك يعيد الاعتبار للفصحى الرقمية.

-أن غياب السياسات اللغوية الرقمية المتكاملة يترك المبادرات اللغوية في حالة من العشوائية، مما يُضعف من حضور العربية الرقمي ويُرسّخ التبعية اللغوية.

ولمواجهة هذه التحديات المتداخلة، توصي الدراسة بما يلي:

-تطوير سياسات لغوية رقمية وطنية، تُلزم المؤسسات الرسمية بتعزيز استخدام العربية في المنصات الرقمية، وتدعم المحتوى العربي في القطاعات كافة.

-إدماج التربية اللغوية الرقمية في المناهج الدراسية، من خلال تعليم الطلاب مهارات التلقي والتحليل والإنتاج باللغة العربية في الفضاء الرقمي.

-إنشاء معاهد متخصصة في المحتوى الرقمي العربي، تعمل على تطوير تطبيقات، معاجم، أدوات ذكية، ومنصات تعليمية تراعي الخصوصية الثقافية واللغوية.

-تحفيز الشراكات بين الدولة والقطاع الخاص لتوطين التكنولوجيا باللغة العربية، وفرض العربية كلغة افتراضية أساسية في البرمجيات والخدمات.

-تعزيز البحث العلمي في ميدان اللغة الرقمية من خلال تمويل الدراسات التي تتناول العلاقة بين اللغة، والهوية، والتكنولوجيا، والاتصال في السياقات العربية.

في الختام، لا يمكن للغة العربية أن تستعيد موقعها الطبيعي في الفضاء الرقمي بمجرد الحنين إلى مجدها التاريخي، ولا بالاكتفاء بردود الفعل الدفاعية. بل لا بد من مشروع حضاري متكامل، يؤمن بأن اللغة طاقة معاصرة قادرة على إعادة تشكيل المستقبل. وإذا كنا نؤمن بأن التحول الرقمي بداية طور جديد منها، فعلينا أن نُعيد تعريف علاقتنا بلغتنا كفعل حرّ وواعٍ في وجه تعميم النماذج الجاهزة. فاللغة التي لا تجد لها مكانًا في الشاشة، لن تجد لنفسها مقامًا في الذاكرة.

الهوامش:

[1]- محمد عبد المطلب البكاء، الإعلام واللغة، مستويات اللغة والتطبيق، ص ص 11، 12.

[2] - عبد الطيف الصوفين، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر،ط1، دمشق سوريا، 1986م، ص30

[3] - فالح شيب العجمي، اللغة والسحر، دار النحوي للنشر والتوزيع، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2003م، ص.

[4] - أميرة محمود خضير التميمي، ليث عثمان نصيف النعيمي، التفكير الجاد في اللغة العربية(رؤية أكاديمية)، مكتبة اليمامة للطباعة والنشر، بغداد، 2022م، ص ص13،14.

[5] - محمد عبد المطلب البكاء، الإعلام واللغة، مستويات اللغة والتطبيق، ص16.

[6] - عبد الطيف الصوفين اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ص ص30، 31.

[7] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص212.

[8] - أميرة محمود خضير التميمي، ليث عثمان نصيف النعيمي، التفكير الجاد في اللغة العربية(رؤية أكاديمية)، ص18.

[9] - المرجع نفس، ص ص19،20 .

[10] - محمد عبد المطلب البكاء، الإعلام واللغة، مستويات اللغة والتطبيق، ص53.

[11] -سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربي، الواقع والمأمول، موقع: منبر حر للثقافة والفكر والأدب https://www.diwanalarab.com/ ، أحد ٢٨ أيار (مايو) 2006م، شوهد15نوفمبر2023م

[12] - جابر قميحة، أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، نادي المدينة المنورة الأدبي، الظهران، 1418ه، ص57

[13] -سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربي،الواقع والمأمول، موقع سابق.

[14] - أروى محمد ربيع، توظيف وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: دراسة تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدوية، العدد الثاني، السنة التاسعة، ص61.

[15] - جابر قميحة: أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، نادي المدينة المنورة الأدبي، الظهران، 1418ه، ص55.

[16] - أميرة محمود خضير التميمي، ليث عثمان نصيف النعيمي، التفكير الجاد في اللغة العربية(رؤية أكاديمية)، ص 20. .

[17] - بشير إبرير، اللغة العربية ومتغيرات الرقمنة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 19، العدد 1، الجزائر، 2023، ص14.

[18]- عاشور توامة، رقمنة اللغة العربية وأثرها في اقتصاد المعرفة، مجلة التنمية البشرية والتعليم للأبحاث التخصصية، المجلد 6، العدد 4، 2020م، ص602 .

[19] - بشير إبرير، اللغة العربية ومتغيرات الرقمنة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 19، العدد 1، 2023، ص14 .

[20] - مسعود خليل، توظيف التكنولوجيا الرقمية في تعليم اللغة العربية بين الواقع والمأمول، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 10، عدد 2، السنة 2021، ص311.

[21]- عاشور توامة، رقمنة اللغة العربية وأثرها في اقتصاد المعرفة، مجلة التنمية البشرية والتعليم للأبحاث التخصصية، المجلد 4، العدد 4، 2020، ص600.

[22] - جيهان السيد علي إبراهيم شاويش، واقع استخدام تقنيات الرقمنة لدى معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى في ضوء مهارات القرن الحادي والعشرين، مجلة كلية التربية - جامعة عين شمس، العدد السابع والأربعون (الجزء الرابع)، 2023، ص54.

[23] - محمد حطاب، رقمنة تعليم اللغة العربية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، JAZ ARABI: Journal ofArabic Learning، المجلد 7، العدد 1، فبراير 2024، ص160.

[24] - جيهان السيد علي إبراهيم شاويش، واقع استخدام تقنيات الرقمنة لدى معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى في ضوء مهارات القرن الحادي والعشرين، ص55.

[25] - عمار زيدان، التحول الرقمي كركيزة العصرنة قطاع التعليم العالي في الدول العربية (الجزائر أنموذجًا) ، أبحاث الملتقى الوطني حول جودة الخدمات في ظل التحول الرقمي والإدارة، ص1.

[26]- محمد حطاب، رقمنة تعليم اللغة العربية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، IJAZ ARABI: Journal of Arabic Learning، المجلد 7، العدد 1، فبراير 2024، ص158.

27- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط 4، 2001، ص[27]15

[28] - سعود خليل، توظيف التكنولوجيا الرقمية في تعليم اللغة العربية بين الواقع والمأمول، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 10، عدد 2، السنة 2021، ص308.

[29]- أحمد عبده عوض، مداخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسحية نقدية، سلسلة البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، ط1، 2000م، ص9.

[30] - عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة: دراسة تقابلية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1437هـ، ص7.

[31] - ميادة، دور الرقمنة في تطوير دراسات اللغة العربية: نقاط القوة والمعوقات، الملتقى العلمي العالمي للدراسات العربية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج، 6-7 ديسمبر 2023، ص695.

[32] - أحمد مهدي، تأثير تطوير اللغة العربية في ظل التحويل الرقمي على تعليم اللغة العربية في إندونيسيا، مجلة كوردوفا للدراسات اللغوية والثقافية، المجلد 13، العدد 1، 2023، ص58.

[33] - عمار زيدان، التحول الرقمي كركيزة العصرنة قطاع التعليم العالي في الدول العربية (الجزائر أنموذجا) ، ص7.

[34]- بشير إبرير، اللغة العربية ومتغيرات الرقمنة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 19، العدد 1، 2023، ص15.

[35]- محمد حطاب، رقمنة تعليم اللغة العربية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، ص161.

[36] - عاشور توامة، رقمنة اللغة العربية وأثرها في اقتصاد المعرفة، مجلة التنمية البشرية والتعليم للأبحاث التخصصية، ص602.

[37] - نور الهدى القروبي، *تحديات اللغة العربية في عصر الرقمنة*، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، المجلد الرابع، العدد الأربعون، 20 فبراير 2023م، ص495.

المصادر والمراجع

1- أحمد عبده عوض، *مداخل تعليم اللغة العربية: دراسة مسحية نقدية*، سلسلة البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، ط1، 2000م.

2- أحمد مهدي، «تأثير تطوير اللغة العربية في ظل التحويل الرقمي على تعليم اللغة العربية في إندونيسيا«، *مجلة كوردوفا للدراسات اللغوية والثقافية*، المجلد 13، العدد 1، 2023.

3-أروى محمد ربيع، «توظيف وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: دراسة تحليلية«، *مجلة الدراسات اللغوية والأدبية*، العدد الثاني، السنة التاسعة.

4-أميرة محمود خضير التميمي، ليث عثمان نصيف النعيمي، *التفكير الجاد في اللغة العربية (رؤية أكاديمية)*، مكتبة اليمامة للطباعة والنشر، بغداد، 2022م.

5-بشير إبرير، «اللغة العربية ومتغيرات الرقمنة«، *مجلة المجمع الجزائري للغة العربية*، الجزائر، المجلد 19، العدد 1، 2023.

6-تمام حسان، *اللغة العربية معناها ومبناها*، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.

7- تمام حسان، *اللغة بين المعيارية والوصفية*، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2001.

8- جابر قميحة، *أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية*، نادي المدينة المنورة الأدبي، الظهران، 1418هـ.

9-جيهان السيد علي إبراهيم شاويش، «واقع استخدام تقنيات الرقمنة لدى معلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى في ضوء مهارات القرن الحادي والعشرين«، *مجلة كلية التربية – جامعة عين شمس*، العدد السابع والأربعون (الجزء الرابع)، 2023.

10- عبد الطيف الصوفين، *اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية*، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1986م.

11-عبد المجيد الطيب عمر، *منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة: دراسة تقابلية*، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1437هـ.

12- عاشور توامة، «رقمنة اللغة العربية وأثرها في اقتصاد المعرفة«، *مجلة التنمية البشرية والتعليم للأبحاث التخصصية*، المجلد 6، العدد 4، 2020م.

13-عمار زيدان، «التحول الرقمي كركيزة العصرنة قطاع التعليم العالي في الدول العربية (الجزائر أنموذجًا)«، *أبحاث الملتقى الوطني حول جودة الخدمات في ظل التحول الرقمي والإدارة*.

14- فالح شبيب العجمي، *اللغة والسحر*، دار النحوي للنشر والتوزيع، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2003م.

15-سلطان بلغيث، «وسائل الإعلام واللغة العربي: الواقع والمأمول»، موقع *ديوان العرب*)منبر حر للثقافة والفكر والأدب)، 28 مايو 2006م، شوهد 15 نوفمبر 2023م، الرابط/https://www.diwanalarab.com

16-مسعود خليل، «توظيف التكنولوجيا الرقمية في تعليم اللغة العربية بين الواقع والمأمول»، *مجلة إشكالات في اللغة والأدب*، مجلد 10، عدد 2، السنة 2021.

17- ميادة، «دور الرقمنة في تطوير دراسات اللغة العربية: نقاط القوة والمعوقات»، *الملتقى العلمي العالمي للدراسات العربية*، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج، 6–7 ديسمبر 2023.

18-محمد عبد المطلب البكاء، *الإعلام واللغة: مستويات اللغة والتطبيق*.

19-محمد حطاب، «رقمنة تعليم اللغة العربية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي»، *IJAZ ARABI: Journal of Arabic Learning*، المجلد 7، العدد 1، فبراير 2024.